



مذكرات صحفي بجريدة لوموند

واحتك بـ «بول اليوار» وماكس جاكوب.

يلفت «ألان جريش» عبر سطور كتاب والده الروحي إلى أزمة مهمة وخطيرة في ذات الوقت، تتصل باليهود الذين كانوا يعيشون في العالم العربي، وكيف كانوا يعيشون، ولما آلت أحوالهم إلى الهجرة من حلب وعمان والقاهرة والدار البيضاء وغيرها من العواصم العربية إلى دولة إسرائيل. يعطينا «ألان جريش» المثل عبر يهود مصر والذين كانوا يشعرون صدقاً لا زيفاً بأنهم مصريون، ولم يكن ليسحرمهم شدة نداءات الحركة الصهيونية، وقد عبر «جيل بيرو» عن ذلك بعبارة جميلة في كتابه «رجل فريد» الذي كرسه لسيرة «هنري كوريل» فقال «باستثناء الأقلية الصهيونية، لم يكن أحد يستشعر ضرورة قيام دولة يهودية، أو تتأبه الحاجة إلى الترنم بأنشودة «العام المقبل في القدس»، حين كان الذهاب إلى هناك لا يتطلب أكثر من ركوب قطار الساعة التاسعة وخمس وأربعين دقيقة.

لكن عندما جعل النزاع الإسرائيلي العربي حياتهم مستحيلة، صاروا ضحايا لموجات كراهية اليهود في العالم العربي وهدفاً لمحاولات الحكومة الإسرائيلية لاستعمالهم كطابور خامس، اضطروا للهجرة إلى فرنسا - وليس إلى إسرائيل - بوصف فرنسا أرض الميعاد الحقيقية، واليوم كثيراً ما يصور انتقاد الصهيونية على أنه شكل مستتر لمعاداة السامية.

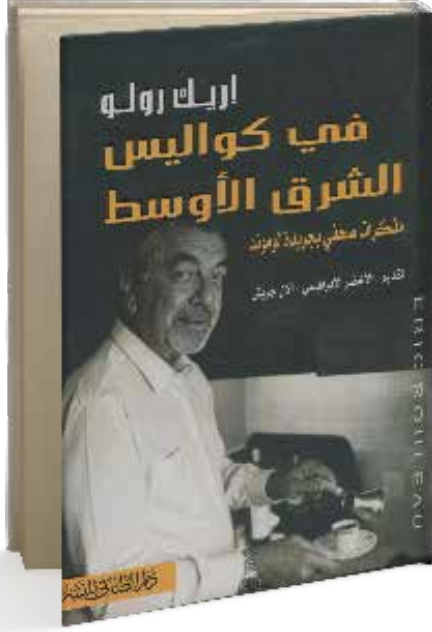
مع ذلك، ففي النصف الأول من القرن العشرين، كانت الغالبية العظمى لليهود عبر العالم ينظرون إلى المشروع الصهيوني بعدم اكتراث، إن لم يكن بعداء، وكان إيلي يرى نفسه مصرياً قبل كل شيء ومتضامناً مع إخوانه في المواطنة المتحدتين جميعاً بغض النظر عن دياناتهم.

يقر «إريك رولو» في مذكراته بحاله وحال اليهود المصريين في ذلك الوقت فيخبرنا بالقول «كنا نعيش بصورة جيدة داخل المجتمع المصري، حيث كان اليهود يشغلون مكانة مرموقة، ففي وسط القاهرة، كانت الأحياء التجارية تفرق في سبات عميق أيام الأعياد اليهودية كعيد الغفران أو رأس السنة اليهودية، إذ كانت العديد من المتاجر الكبرى والمحلات والمصارف وشركات الأعمال فضلاً عن البورصة، جميعها تغلق أبوابها.

وكانت المقاهي والمطاعم ودور السينما تعمل بكثافة أقل. هل تضع مذكرات إريك رولو أيدينا على اللحظة الفارقة التي حدث فيها الطلاق بين اليهود ومواطنيهم في كل العالم العربي؟

يقر صاحب الكتاب بأن المناخ السياسي المصري بدأ يتدهور، منذ نوفمبر ١٩٤٧، حين أصدرت الجمعية العامة قرار تقسيم فلسطين إلى دولتين، إحداهما يهودية، والأخرى عربية فلسطينية، وقد أثار القرار شغلة من الغضب وأذن ببداية حملة كراهية لليهود، فهاجمت الصحافة اليهود، وهي التي كانت تبدي إلى ذلك الحين قدراً من الاعتدال، وأخذت تتهمهم بأنهم «صهاينة» و«شيوعيون» في آن...

لقد كان إنشاء دولة إسرائيل بمثابة إيدان بالطلاق ما بين اليهود ومواطنيهم في كل العالم العربي، وقد رأى المسؤولون



الصهاينة في ذلك ما يعضد أطروحتهم القائلة بافتقار الأقليات غير المسلمة لمستقبل منظور في البلدان الإسلامية، لتتخذ الهجرة إلى إسرائيل انطلاقة جديدة... رغم ذلك - يعترف إريك رولو - قررت عائلتي ألا تغادر البلاد، شأنها في ذلك شأن كثير من العائلات سواها، إذ لم تكن قد فقدت كل الأمل في أن تعود حياتهم إلى سابق عهدها.

أفضى إنشاء دولة إسرائيل في مايو ١٩٤٨ إلى تحديد مصير يهود مصر والشرق الأوسط في غضون بضعة أعوام... ففي أسلوب روائي يعترف «إريك رولو»... «تحت تهديد التعرض للإدانة بتهمة مزدوجة تدمغني بالصهيونية والشيوعية، وتحت وطأة العوز والبطالة، قررت الرحيل عن مصر. ولم تعارض السلطات الأمنية رحيلي، لكنها أبت إلا أن تمنحني تأشيرة «خروج بلا عودة»، وفي ديسمبر ١٩٥١ أبحرت مغادراً وقد جاش بصدري شعور مزدوج، اختلط فيه الحزن على مفارقة الوطن، بفرحة الذهاب إلى فرنسا، ووطن أبي الأثير، حيث كان ثمة حياة أخرى بانتظاري، حياة حافلة بالمفاجآت من أوجه عدة.

وبعد بضعة أشهر في ٢٣ يوليو ١٩٥٢، استولى «ضباط الجمهورية بعد ذلك بعام واحد»...

هل كانت هجرة بغير عودة إلى مصر أي مرة وإلى الأبد؟ لم يكن ذلك كذلك، ففي أثناء إشرافه على باب الشرق الأوسط في صحيفة «لوموند»، حدث له ما لا يتوقع أن يحدث ما دعاه للتساؤل... هل الحظ يقرع بابي من جديد؟ كان أن تلقى «إريك رولو» دعوة من عبد الناصر شخصياً للذهاب إلى مصر في مطلع صيف ١٩٦٣.

يحكي رولو بالتفصيل كيف نشأت قصة عودته إلى مسقط رأسه وكيف جرت، وذلك في الفصل الأول من هذا الكتاب... كان لقاء عبد الناصر بصحفي عربي يعني إسباغ نوع من الشرعية من قبل الرجل الذي يمثل القومية العربية، على ذلك الصحفي، وعليه وحين فجأة رأى «رولو» كل أبواب

الشرق الأوسط تفتح أمامه، وفي العقود اللاحقة سيلتقي بقيادة المنطقة كافة، من الملك حسين، إلى ياسر عرفات، ومن صدام حسين إلى معمر القذافي، مروراً بأية الله الخميني، وحافظ الأسد.

يوم أن تم اختياره سفيراً لفرنسا في الخارج بناء على طلب من الرئيس الفرنسي «فرانسوا ميتران»، عرف نفسه بأنه ينتمي إلى اللوموند أي إلى العالم، وربما كان على حق في ذلك، فقد جاب العالم، كصحافي ومن أمارات حدسه الصحفي أنه كان دائماً على موعد مع التاريخ.

فكان في القاهرة في يونيو ١٩٦٧، أثناء الهجمة الإسرائيلية، وفي عمان في ١٩٧٠، أثناء مذابح الفلسطينيين على يد الجيش الأردني، وفي القاهرة مجدداً يوم تولى الرئيس عبد الناصر على نحو مفاجئ، وفي نيقوسيا في ١٩٧٤ أثناء محاولة الانقلاب العسكري ضد الرئيس مكاريوس الثالث...

بالنسبة لإسرائيل كان «إريك رولو» أكثر من مجرد عدو، كان خائناً وقد وصفه مناحم بيجن ذات مرة بأنه «عميل مصري، ومسكون بـ كراهية الذات» ذلك أنه لم يسعهم أن يفهموا أن الرجل يحمل على العكس، روحاً يهودية تليدة هم الذين يسعون إلى إزهاقها، تلك الروح الراضية للقومية الضيقة، المتضامنة مع المضطهدين كافة، وكان أحد أصدقائه، شحاته هارون، المحامي اليهودي المصري، الذي رفض مغادرة مصر حتى وفاته، قد طلب أن تكتب هذه المرثية في نعيه بجريدة الأهرام...

أسود أنا حين يضطهد السود

يهودي أنا حين يضطهد اليهود

فلسطيني أنا حين يضطهد الفلسطينيون

يظهر رولو في هذا الكتاب كما كان طوال حياته، أنه وقبل كل شيء كان صحفياً همه الأول أن يفهم القضايا التي يكتب عنها فهما كاملاً وموضوعياً، وأن ينقل للقارئ صورة أمينة واضحة لما رآه وسمعه، إلا أن الصحفي الملتزم لا يتوانى عن إعطاء رأيه حين يتطلب الأمر ذلك... ولد إريك مصرياً يهودياً ثم أصبح فرنسياً، ولم يجد ذلك إشكالاً من أي نوع... كأنه كان إشارة مبكرة لعالم الهويات المتعددة المتعايشة لا المتقاتلة أو المتحاربة... كان سفيراً للعالم الواسع الذي جابه من أقصاه إلى أدناه... سفير لدى كوكب الأرض، مكلف بمساعدتنا على فك شيفرة اضطراباته ومن ثم فهمها بصورة أفضل.

اسم الكتاب: في كواليس الشرق الأوسط... مذكرات صحفي بجريدة لوموند

اسم المؤلف: إريك رولو

دار النشر: دار الطناني للنشر والتوزيع. القاهرة

سنة النشر: ٢٠١٥

عدد الصفحات: ٣٥٠

ترجمة: د. داليا سعودي

مراجعة: مصطفى الطناني

● مدير مركز الحقيقة للدراسات السياسية والإستراتيجية





في كواليس الشرق الأوسط...

إميل أمين

هذا كتاب مهم... صاحبه «إريك رولو» الصحافي والدبلوماسي والمؤرخ الفرنسي الذي رحل عن عالمنا منذ بضعة أشهر فقط وبالتحديد في فبراير شباط من العام الجاري ٢٠١٥.

لم يكن «رولو» إلا قصة لأحد أبرز الرجال العارفين بشؤون الشرق الأوسط، وقد اكتسب شهرة عالمية بفضل كتاباته في جريدة «لوموند» الفرنسية وفي مجلات مختلفة في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، كما كان الرجل من أكثر المراقبين اطلاعاً على خبايا الشرق الأوسط وربطها ببعضها البعض من جهة، وبينها ودول العالم المختلفة من جهة أخرى.

«هنري كيسنجر» دهاء في الحيلولة دون أي حل للصراع العربي الإسرائيلي، في حين كان يتظاهر بأنه يعمل من أجل تحقيق السلم في المنطقة.

كان «إريك رولو» من أوائل الصحفيين الغربيين الذين التقوا قادة منظمة التحرير الجدد عام ١٩٦٩ وعلى رأسهم ياسر عرفات وصلاح خلف (أبو إياد)، ويرى أن عرفات وإن كان قد رحل قبل أن يتمكن من إنشاء دولة فلسطينية، إلا أنه يفضلته وبفضل رفاقه فرض اعتراف العالم باستثناء إسرائيل والولايات المتحدة بحقه في إنشاء دولته المستقلة في الأراضي الفلسطينية، التي احتلتها إسرائيل سنة ١٩٦٧، فللشعب الفلسطيني حقوق مشروعة لا ولن يجوز التصرف بها.

على هامش المذكرات يذكرنا «ألان جريش» الصحفي الفرنسي في جريدة لوموند دبلوماسياً والمولود أيضاً بمصر، وهو ابن المناضل الشيوعي الأمامي «هنري كوريل» مؤسس تنظيم «حدث»، ويعد جريش الابن الروحي لإريك رولو... يذكرنا بمن هو رولو وما هي إمبراطوريته، وكيف لصحفي لا يملك سوى الأقلام والأوراق أن يغدو إمبراطوراً دون ممتلكات أو مستعمرات.

طوال عدة عقود، من خمسينيات القرن الماضي وحتى نهاية الثمانينيات غطى «إريك رولو» أحداث البلدان العربية، ناهيك عن أحداث إسرائيل، واليونان، وتركيا، وإيران، وأفريقيا في فترة سعيها إلى الاستقلال كما في أثيوبيا، وحتى باكستان البعيدة، ليصبح الصحفي الأشهر في أشهر صحيفة يومية فرنسية، حتى أن زميله ورفيق دربه الصحفي «جان جيراس» قد علق على ذلك قائلاً إن: «إمبراطورية رولو لا تغرب عنها الشمس أبداً» مثلما كان يقال عن الإمبراطورية البريطانية أو عن إمبراطورية كارلوس الخامس مبتدع تلك العبارة وصانها.

كان «إيلي» الذي أضحى لا حقاً «إريك» فرنسي اللسان شأنه في ذلك شأن كثير من المصريين، المسيحيين منهم واليهود والمسلمين، وشأن أبناء الكثير من الجماعات التي تعايشت على أرض مصر، من يونانيين أو إيطاليين، فرنسيين أو شوام.

كان الأدب المصري الفرانكفوني، يتألق آنذاك بأبهى الإبداعات، من «إدمون جابيس»، إلى «البيير قصيري»، مروراً بـ «جورج جنيه»، كما خاض هذا الأدب تجربة السورالية،

ذلك تبذل جهوداً جهيدة لمعالجة الأزمة بالطرق السلمية، ويذكرنا الكاتب بالدلائل القاطعة أن الرئيس الأمريكي جونسون قد دعم الخيار العسكري الإسرائيلي وكذب على الرئيس عبد الناصر.

يدهش الشاب العربي حال معرفته أن «إريك رولو» لم يكن هذا اسمه في يوم مولده عام ١٩٢٦، بل كان «إيلي رافول»، ابن لأسرة يهودية نشأ وترعرع في العاصمة المصرية القاهرة، درس الحقوق في جامعة فؤاد الأول (القاهرة الآن) وعمل صحفياً بجريدة الإيجيشيان جازيت، قبل أن يضطر للانتقال قسراً للحياة في فرنسا عام ١٩٥١ لاتهامه بالشيوعية.

وفي كل الأحوال فإن المفارقة الحقيقية هنا تتمثل في أن المواطن عند «رولو» غلبت النزعة الدينية العاطفية، إذ جاءت مذكراته تميل لتسليط أشعة الضوء على الحقيقة، حيث مصر والعالم العربي والفلسطينيون هم ضحايا العدوان والاحتلال الإسرائيلي، ولم تحل يهوديته دون الحقيقة أو تقف أمامها سداً.

يذكرنا «إريك رولو» أيضاً كيف أن الدعاية الإسرائيلية المدعومة أمريكياً روجت لمقولة أخرى وهي أن إسرائيل خائفة من الغول العربي، الذي كان يتهياً للقاء عليها في حين أن القيادة العسكرية الإسرائيلية كانت واثقة تماماً من قدرتها على تحقيق النصر في أية مواجهة مع الجيوش العربية، وأن الخسائر الإسرائيلية لن تكون كبيرة.

وقد تبين من الوثائق الرسمية التي نشرت لاحقاً أن الإدارة الأمريكية كانت من الرأي ذاته وأنها طمأنت حليفها الإسرائيلي بأن انتصاره سيكون سهلاً المنال.

صفحات الكتاب تلفت انتباهنا إلى الزور والبهتان الذي طارد الكثير من الزعماء العرب أحياء وأمواتاً، ومنهم عبد الناصر شخصياً، والذي صورته الغرب على أنه طاغية محب للدماء، في حين ينقل لنا «رولو» صورة إيجابية عن الزعيم المصري الذي وجه دعوة إلى «ناحوم جولدمان» مؤسس ورئيس المؤتمر اليهودي العالمي.

وقد قبل جولدمان الدعوة إلا أن المسؤولين الإسرائيليين منعه منعاً باتاً من الذهاب إلى القاهرة، وبنفس المصادقية والموضوعية يروي لنا من أضايب التاريخ كيف استخدم

يَعْن لنا التساؤل بداية ما سبب أهمية هذا الكتاب؟ المؤكد أنه سيكون مرجعاً ثميناً للجيل العربي الناشئ الذي لم يعايش جزءاً كبيراً من الأحداث التي صنعت تاريخنا الحديث، ومنها وصول جمال عبد الناصر إلى مكان الصدارة في مصر وفي منطقة الشرق الأوسط والساحة السياسية بكاملها وحروب العرب مع إسرائيل سنة ١٩٤٨ و١٩٥٦ و١٩٦٧ و١٩٧٣، وكذلك وصول ياسر عرفات إلى رأس منظمة التحرير الفلسطينية والمحاولات العديدة الرامية إلى تحقيق السلم مع إسرائيل والتي باءت كلها بالفشل.

ولأهمية سطور هذا الكتاب فقد كتب مقدمته السيد «الأخضر الإبراهيمي» السياسي والدبلوماسي الجزائري المعروف، والذي عين وزيراً لخارجية بلاده في الفترة ما بين عامي ١٩٩١ - ١٩٩٣، كما كان مبعوثاً للأمم المتحدة في أفغانستان والعراق ومبعوثاً مشتركاً للجامعة العربية والأمم المتحدة إلى سوريا عام ٢٠١٢.

يلفت السيد الأخضر الإبراهيمي انتباه القارئ إلى أمر مهم، وهو أن «إريك رولو» اختص بمذكراته هذه مصر وإسرائيل والقضية الفلسطينية بشكل يكاد يكون حصرياً. فلا شيء في الكتاب يُذكر عن تركيا وتونس مع أنه عمل سفيراً لفرنسا في كل من البلدين، ولا شيء يذكر عن العراق أو إيران رغم أنه تابع الأحداث في كل من بغداد وطهران عن كثب، وكانت له علاقات واتصالات وثيقة برجال السياسة والثقافة في كل بلد من بلدان الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.

الكاتب يميل للثام عن مواضيع عديدة ذات أهمية كبيرة ومؤثرة في شؤون العالم العربي حتى الساعة، فعلى سبيل المثال لقد روجت وسائل الإعلام الإسرائيلية والأمريكية لأكاذيب عديدة حول ما جرى في المنطقة، فأقنعت العالم مثلاً أن إسرائيل كانت مهددة بالإبادة قبل حرب سنة ١٩٦٧، وأن مصر وعلى رأسها «الديكتاتور ناصر» هي التي بادرت بالاعتداء على إسرائيل الصغيرة الضعيفة المسالمة وأن «داوود» انتصر على جالوت بأعجوبة...

غير أن «إريك رولون» وفي صفحات الكتاب يذكرنا بحقيقة الأحداث كما حدثت وهي أن: «إسرائيل هي التي كانت الدولة المعتدية، وليس مصر التي كانت على العكس من

